أداة حمدان لملاحظة وتحليل التفاعل الصفى الشامل

- **مقدمة:**

لفت انتباه الكاتب كثرة الاستعمال لأدوات التفاعل الصفي في التربية الأمريكية، فقام نتيجة ذلك بدراسة شاملة لهذه الأدوات ولما يمكن أن تقدمه من فوائد وفرص بناءة في مجال تقييم المعلمين وتطوير مهاراتهم الوظيفية في تربيتنا العربية المحلية، ولقد أدت دراسة هذه الأدوات التي زادت عن تسعين واحدة إلى النتائج والاعتبارات التالية:

أ- أن هذه الأدوات عموما بصيغتها الحرفية لا تصلح تماما لتعليمنا، لكونها صممت وطورت في الأساس للتعليم والحياة الأمريكية، وإن يكن هناك بعض التشابه بين تعليم أمة وأخرى، إلا أن لكل تعليم خصوصية في الممارسات والأساليب والاهداف، تميزه عن غيره من الأنظمة التعليمية، وعليه فإن ما يصلح لأمة وتعليمها، لا يصلح بشكل كامل أو حرفي لأخرى أو لممارساتها التربوية، حيث يستلزم حينئذ إجراء تعديل أو بلورة للنظرية أو الوسيلة التربوية لتتلائم مع معطيات وخصائص الأمة وتعليمها.

ب- على الرغم من صلاحية أدوات التفاعل بشكل كامل للتعليم والممارسات التربوية العربية، إلا أن الفكرة بعينها، والتجربة الناجحة لها في التعليم والتقييم الأمريكي، تحفزنا للنظر بجدية لهذه الأدوات ومحاولة الاستفادة منها نظريا وتطبيقيا في التعليم المحلي وخاصة عند افتقادنا لبدائل عملية لها.

ج- يمتلك التعليم العربي خصائصا وأهدافا وممارسات تربوية فذة تميزه قطعا عن أي نظام تربوي في العالم، وأن النظم والممارسات التربوية التي ننقلها في الغرب إلى الشرق، لا تكفي بأي حال من الأحوال ولا تلائم أيضا بشكل كامل طبيعة وحاجات هذا التعليم، ويغني عن التأكيد هنا، بأن النقل الحرفي للنظريات والأساليب التربوية ثم العمل على تبنيها وتطبيقها قد يكون سببا رئيسيا لفشلنا أو عدم فعاليتنا التربوية، وعاملا رئيسيا من عوامل إخفاق امتنا فكريا أو حضاريا.

نتيجة الاعتبارات الثلاثة أعلاه، قام محمد زياد حمدان خلال عامي 1975 و1976 بتطوير أداة ملاحظة التدريس الحالية، متوخيا ملاءمتها لطبيعة تعليمنا المحلي، مستفيد في نفس الوقت من التجربة الأمريكية وما توصلت إليه نظريا وتطبيقيا من نتائج مفيدة في هذا المجال.

ولقد لاحظ زياد حمدان ان أدوات التفاعل الصفي الأمريكية متخصصة في معظمها، تركز كل واحدة منها على ناحية معينة من التفاعل الصفي (كالناحية الاجتماعية، الادراكية، النشاطات اللاصفية، الممارسات وغيرها)، وإن هذا في حقيقته لا غبار عليه البتة، وإنما المأخذ الرئيسي الذي يمكن توجيهه لمعظم هذه الأدوات هو كون غالبيتها قد اغفل نواح هامة من السلوك التربوي الذي قد يحدث خلال تفاعل المعلم من التلاميذ فيما يسمى بالتربية الصفية.

نأخذ مثالا على ذلك أداة فلاندرز التي سبق عرضها، والتي تعتبر بحق أكثر أدوات الملاحظة شهرة واستعمالا سواء في داخل الولايات المتحدة أو خارجها، لقد وجد بأن هذه الأداة على الرغم من تركيزها على التفاعل الاجتماعي لغرفة الدراسة فإنها تفتقر لما يلي:

1- إن أداة فلاندرز تفتقر لفئة تبين تفاعل المعلم مع نوع التلاميذ: محلي أو وافد، طالب أو طالبة، أسود أو أبيض، غني أو فقير، قصير أو طويل، عادي أو معاق أو غير ذلك من تصنيفات، وأن هذه الأمور (الجنس واللون والطبقة الاجتماعية والدين وغيرها) تمارس تأثيرا ملموسا في التعليم الأمريكي على الرغم من التي تجري دائما للتغلب عليها أو تجاهلها، أما في تعليمنا المحلي فقد تكون الطبقة الاجتماعية والدين والجنس والشكل والمنشأ عوامل هامة في التمييز بين التلاميذ.

2- إن أداة فلاندرز تفتقر لفئة سلوكية تبين إجابة المعلم القصير للتلاميذ وثالثة لمبادرة التلاميذ بسؤال أو جواب أو إقتراح، ومع هذا لا توجد فئة تبين إجابة المعلم عندما يساله أحد التلاميذ أو يستفسر عن امر تربوي أو شخصي، صحيح ان فلاندرز قد وضع فئة لإلقاء أو محاضرة المعلومات أو الحقائق، ولكن من الوجهة التربوية والعلمية، هنالك فرق واسع بين إلقاء المعلومات والاجابة عن السؤال، أي بين سلوك تدريسي مباشر وآخر غير مباشر.

3- أن أداة فلاندرز تفتقر إلى فئة تبين السلوك العدائي للمعلم، قد يلجأ المعلم في تعليمنا المحلي إلى استخدام عقاب جسدي ضد أفراد التلاميذ لأسباب متعددة موضوعية وغير موضوعية، إن هذه التصرفات السلبية للمعلم لا يمكن التغاضي عنها أو نكرانها لما تسببه من عواقب غير حميدة في تعليم التلاميذ ونفسياتهم وردود فعلهم السلبي تجاه المعلم، ولذلك فإن احتوائها في أداة الملاحظة بشكل ضرورة لا غنى عنها، في تربيتنا المحلية على الأقل.

4- إن أداة فلاندرز تحتوي على فئة لإجابات التلاميذ على المعلم، ولمبادرتهم بسؤال وجواب، إن هذه المبادرة في الغالب موجهة للمعلم وبإيحاء منه، إن الذي يحدث في غرفة الدراسة أحيانا وخلال عمليات المناقشة بأن تلميذا يستجيب لسؤال أو لإجابة تلميذ آخر، إن أداة فلاندرز لم تعمد إلى تمييز هذا الأمر تماما، بل أجملته في بعض الأحيان في فئة رقم 10، على أنه فوضى من التلاميذ وشتان ما بين الفوضى وإجابات التلاميذ النظامية.ء

5- أن أداة فلاندرز تفتقر إلى فئة سلوكية تبين السلوك العدائي من تلميذ لآخر، هذا السلوك العدائي قد يكون لفظيا أو جسميا أو قد يكون متمثلا في الاستيلاء على ممتلكات الغير وإتلافها، إن مثل هذه السلوكات العدائية تحدث من حين إلى آخر في غرفنا الدراسية المحلية، إن تجاهلها تبعا لذلك هو تشويه لواقع التدريس وتمثيل غير صادق أو غير متكامل لمجرياته.

6- أن أداة فلاندرز تفتقر إلى فئة تزود المشرف بتغذية راجعة بخصوص سلوك التلاميذ المقاوم للمعلم عندما يأمرهم أو يطلب منهم القيام بمهمة دراسية، كالواجب، وكتابة شيء على السبورة، وإحضار رسم إلى غير ذلك من المواقف، إن تجاهل أداة فلاندرز لهذا الأمر وإضفاء نوع من المثالية على الغرفة الدراسية، يبعدها بعض الشيء عما يجري تماما في التربية الصفية.

7- أن أداة فلاندرز تفتقر إلى فئة تبين نوع الهدوء الذي قد يحدث داخل غرفة الدراسة، فهناك مثلا هدوء بناء كحالات قيام التلاميذ بحل مسائل أو واجب داخل الفصل، وحالات القراءة الصامتة، وحالات مشاهدة التلاميذ للأفلام التعليمية والوسائل المعينة الأخرى، أو حتى حالات الهدوء عندما يقوم بعض التلاميذ أو المعلم بحل مسألة على السبورة، كل هذه الحالات من الهدوء البناء أجملها فلاندرز في فئة رقم 10، مع حالات الفوضى وإن هذا مخالفة لواقع التدريس وتشويه لماهية التفاعل الصفي.

- **مكونات أداة التفاعل اللفظي الشامل:**

تحتوي أداة التفاعل اللفظي الشامل على ستة عشر فئة سلوكية، واحدة إضافية لإظهار نوع التلاميذ الذين يتم التفاعل معهم من المعلم، تصف الأداة نوعين من الحديث أو التفاعل الصفي: حديث المعلم وحديث وردود فعل التلاميذ، وبينما ينقسم حديث المعلم إلى نوعين رئيسيين: **حديث غير مباشر وحديث مباشر**.

وتتألف ردود فعل التلاميذ أو حديثهم الصفي من نوعين أيضا: **الحديث وردود الفعل البناءة والحديث أو ردود الفعل السلبية غير البناءة**، وفيما يلي وصف لهذه الفئات وما تتضمنه من أنواع سلوكية وتفاعل صفي.

جدول يلخص الفئات السلوكية بأداة التفاعل الصفي الشامل

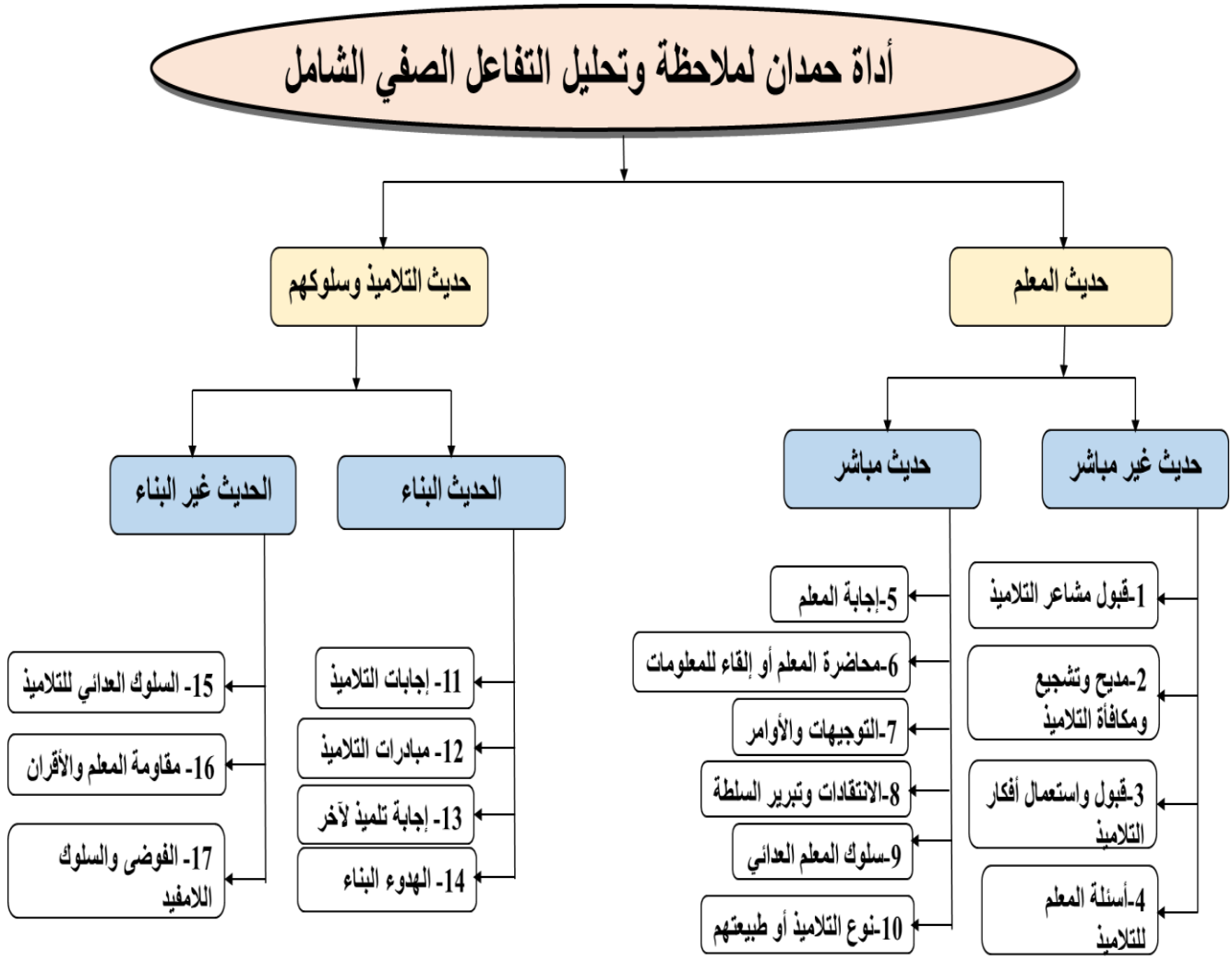

حديث المعلم	حديث المعلم غير المباشر	**1- قبول مشاعر التلاميذ:** يتقبل المعلم شعور التلاميذ وأحاسيسهم ويتفهم أسباب ذلك مهما تكن المشاعر إيجابية أو سلبية. **2. المديح والتشجيع ومكافأة التلاميذ:** ويقوم المعلم خلال هذا النوع من السلوك بحث التلاميذ وتحفيزهم بالاستمرار في سلوكهم الجيد وتطويره مع مكافأتهم عليه ماديا ومعنويا. **3. قبول واستعمال أفكار التلاميذ:** يقوم المعلم خلال الشرح بقبول أفكار التلاميذ ثم تكرارها وتبسيطها وإعادتها مرة أخرى إليهم لحفظها. **4. أسئلة المعلم للتلاميذ:** وتتمثل في أسئلة المعلم المباشرة للتلاميذ فرادى وجماعات ليقوموا بعمل أو إجابة محددة ومفيدة للمادة الدراسية.
	حديث المعلم المباشر	**5- إجابة المعلم:** وتتمثل في إجابة المعلم لأسئلة التلاميذ المباشرة. **6- محاضرة المعلم أو إلقاء للمعلومات:** ويقع خلالها بإلقاء الحقائق والأفكار والمعلومات الجديدة أو تكرارها إذا كانت قديمة معروفة لدى التلاميذ. **7-التوجيهات والأوامر:** وهي توجيهات وإرشادات المعلم وأوامره للتلاميذ لعمل شيء أو تنفيذ واجب دراسي. **8-الانتقادات وتبرير السلطة:** وفيها ينتقد المعلم تلاميذه لقيامهم بسلوك سلبي أو عدم تنفيذهم لواجب، وأحيانا يهددهم بخصم قسم من استحقاقهم في مادة معينة مبرارا قدراته الشخصية على ذلك، إن رفض المعلم لطلبات التلاميذ الشخصية تقع في مثل هذه الفئة. **9-سلوك المعلم العدائي:** إن شتم المعلم وعباراته الحادة غير اللائقة الموجهة للتلاميذ وكذلك حالات العقاب الجسدي والنفسي تقع كلها في هذه الفئة. **10-نوع التلاميذ أو طبيعتهم:** وتبين هذه الفئة نوع التلاميذ عرقيا، أو جنسيا، دينيا أو اجتماعيا التي قد يتعامل معها المعلم أكثر أو أقل.
حديث التلاميذ وسلوكهم	حديث التلاميذ وسلوكهم البناء	**11- إجابات التلاميذ:** وتشمل أية إجابة للتلاميذ لسؤال مباشر من المعلم أو لأمر منه. **12- مبادرات التلاميذ:** وتحوي هذه الفئة أسئلة التلاميذ وإجاباتهم التطوعية ولكن بإذن من المعلم. **13- إجابة تلميذ لآخر:** وهذا يحدث خلال المناقشة الجماعية عندما يرد تلميذ على إجابة آخر أو يجيب استفسارا له. **14- الهدوء البناء:** ويمثل حالات عرض الأفلام والوسائل التعليمية، وحالات استعمال السبورة من قبل التلاميذ أو المعلم، أو حالات قيام التلاميذ بحل بعض الواجبات داخل الفصل أو القراءة الصامتة إلى غير ذلك من حالات العمل أو التفكير الصامت استعدادا لنشاط فيما بعد.
	حديث التلاميذ وسلوكهم غير البناء	**15- السلوك العدائي للتلاميذ:** ويتمثل في الهجوم المباشر من التلميذ، سواء كان هذا هجوما لفظيا مثل سب التلميذ لآخر، أو التشنيع به ومناداته بألفاظ غير مستحبة، أو كان هجوما جسديا كالركل والعض والدفع والضرب. أو مثل خطف الممتلكات كما يحدث عندما يأخذ تلميذ بالقوة دفتر أو قلم أو كتاب من زميله بالقوة. أو تحطيم الممتلكات كتمزيق ورقة الاختبار أو الكتاب للتلميذ من طرف زميله أو رمي أشيائه على الأرض من شدة الغضب. **16- مقاومة المعلم والأقران:** قد يلجأ بعض التلاميذ إلى مخالفة أوامر المعلم ومقاومة رغباته بخصوص حل واجب دراسي معين، أو الخروج من قاعة الدراسة والتظاهر بعدم سماع تعليمات المعلم بخصوص حل واجب محدد. **17- الفوضى والسلوك اللامفيد:** عندما يتحدث المعلم والتلاميذ بحيث لا يفهم أحد الآخر، وعند ضوضاء الفصل بشكل عام، تسمى مثل هذه الحالات بالفوضى، كذلك عندما يعطي تلميذ زميله ورقة أو رسالة أو يرميها عليه من بعيد، أو يهز الكرسي الذي يجلس عليه بشكل يخرج صوتا يعيق سير الدرس العام، أو يحاول تلميذ إضحاك زميله بوسيلة ما، أو التظاهر بقراءة كتاب معين أو مجلة بدل سماعه للشرح ومشاركته له أو بوضع رأسه على المقعد ومحاولة النوم.

جدول توضيحي للفئات السلوكية الملاحظة بأداة حمدان

	قبول مشاعر التلامذة	مديح وتشجيع التلامذة	قبول واستعمال أفكار التلامذة	توجيه الأسئلة للتلامذة	إجابات المعلم	إلقاء المعلم لمحاضرته	إعطاء الأوامر والتوجيهات	نقد المعلم لتلامذته وتبرير لسلطته	سلوك المعلم العدائي	نوع التلامذة	إجابات التلامذة	مبادرات التلامذة	إجابات التلامذة لأقرانهم	الهدوء البناء	السلوك العدائي للتلامذة	مقاومة المعلم والأقران	التفوضي والسلوك اللامقيد
	1	2	3	4	5	6	7	8	9	10	11	12	13	14	15	16	17
1																	
2																	
3																	
4																	
5																	
6																	
7																	
8																	
9																	
10																	
11																	
12																	
13																	
14																	
15																	
16																	
17																	
المجموع	0	0	0	0	0	0	0	0	0	0	0	0	0	0	0	0	0